شمعة العاشقين (إيزادورا)

مجدي حافظ ـ مصر

صاح الحاجب في صوت جهوريا في دخوله إلي بلاط حاكم الأقليم " الكاهن الأعظم بالباب سيدي الحاكم"؛ متكأ علي كرسيه متصدرا قاعة العرش العظيمة الأبهة والتي اتزينت قاعتها بالطنافس وبالوسائد المخملية والديباج والمقاعد الوثيرة بالرياش وهو ينظر الي الحاجب الذي وقف متسمرا في مكانه منتظرا أذن الحاكم في مثول الكاهن الأعظم الذي استدعه علي عجل في ان يأتيه لأمر عاجل؛ لقد خيم الوجوم علي وجه الحاكم وهو ينظر إلي الحاجب بعيون زائغة؛ أشار بيديه للحاجب في دخوله وفي كلمتين لم يزد عليهما " دعه يدخل" لقد اصابه الوهن فجأة؛ دخل الكاهن وهو يطاطئ براسه للحاكم ويدق بعصاه المذهبة علي الارضية الوردية المرمرية دقات متزامنة لها ايقاعات محكمة تحية للحاكم الذي اتخذ من مقعده الذهبي عرشه جلوسا وصولجانه الذي ضم الي صدره انتظارا لقدومه؛ اقترب الكاهن من كرسيه وانتظر الأذن بجلوسه؛ أشار له الحاكم بالجلوس؛ جلس الكاهن منتظرا حديث جديا بعد ان استدعاه قبل ان يأوي الي فراشه بعد يوم حافل في احتفالات الأقليم بالإله " تحوت" إله الحكمة أحد ارباب ثامون الأشمونين الكوني؛ لم ينبس الحاكم بكلمة تحرج الكاهن في البداية ولكنه بداها " هل هو أمر جلل ياسيدي الحاكم؟"؛ ادرك الحاكم ان صمته قد طال؛ لقد خرج الكاهن عن أداب الحديث عندما بادره بالكلام قبله؛ استدرك الحاكم وخرج من حيرته قليلا التي استغرق

فيها طويلا قبل ان يبوح بما يجول في صدره " إيزادورا أيه الكاهن العظيم؟"؛ اعتدل الكاهن العظيم في جلسته والهواجس قد طالته في لحظات قبل ان ينطق عن فزعه الذي اصابه قلقا " ماذا يا سيدي الحاكم؟ ما الذي آلم بها؟ علينا ان نستدعي اطباء القصر؟"؛ اشار الحاكم الي الكاهن " تمهل ايه الحكيم علي رسلك ابنتي بصحة جيدة ولا داعي لاستدعاء الأطباء؛ هناك أمر أخر اريد ان أتحدث عنه معك بصفتك ليس بصفتك الدينية ولكن بصفتك حامل لواء الحكمة في بلاط الحكم واثق في حكمتك ورايك"؛ هدأ الكاهن قليلا بعد ان شغله امر هذا الحاكم ومسألته العاجله التي لا تحتمل الأنتظار إلي الصباح.

دخل حامل الأكواب حاملا الشراب بعد ان استئذان الحاجب الذي سمح له بالدخول؛ اقترب حامل الأكواب من الحاكم وهو يقدم له شراب الورد المنعش تمتم الحاكم في كلمات هامسة لم يسمعها الكاهن "هذا ما احتاجه"؛ اقترب الخادم من صاحب العصا بكأس من شراب الورد مد يده إلي الكاس الفضية ذات النقوش البارزة وهو يرتشف رشفة سريعة متلهفا علي يسمع من الحاكم أمر " إيزادورا"؛ الحاكم قد وضع الكأس بجانبه قبل ان يسترسل في امرها" أبنتي قد رفضت أمر زوجها من أميرا اغريقيا؛ لم تبد اسبابا منطقية لرفضها"؛ لم يبهت الكاهن من حديث الحاكم وقلقه البالغ علي ابنته التي ادرات رؤوس كثيرة من حسنها وجمالها الذي فاق الكثيرات في حسنهن وجمالهن؛ لقد هزت عروش رجال كثر قد اتوا بحجة زيارة حاكم الأقليم الخامس عشر يطلبون وده ولكن في حقيقية الأمر لقد اتوا طلبا

في ودها هي ليس ود أبيها حاملين لها بهدايا عظيمة من جواهر وطنافس تخطف الأبصار وتسلب الالباب من جميع انحاء الأمبراطورية المصرية؛ هذا هي الصورة التي طبعت في ذهن الكاهن الأعظم الذي عليه ان يختار كلماته بعناية شديدة قبل ان يبوح له بما يجول في صدره وعليه ان يكن حذرا بعد ان سقطت بعض الكلمات والسيرة عن شغف " إيزادورا" بواحد من ضابط الجيش " حابي" الذي وقع حبها في قلبه وبادلها شوقا بشوق وحبا بحب فأصبحا هائمان في حبهما عليه بالحذر.

" سيدي الحاكم ربما رأي لا يعجبكم ولكني سوف ابوح بما يجول في صدري؛ لقد اعتبرتني - - -" قالها في صوت خفيض مؤكد علي تواضعه وفي نظرات محسوبة منه علي رد فعله الذي بادره باشاره من يده بالتوقف قبل استرساله في باقي حديثه " السيد الكاهن الأعظم؛ الذي لا تعلمه انها قد وقعت في حب احد عوام الشعب؛ أنه أحد الرعاع حتي ولو كان من ضابط الجيش؛ لقد أستغل سذاجتها وطيبتها حتي ينال مآربه منها؛ لقد حاولت ان اثنيها عن حبها له؛ لم تمتثل بل تمادت ولم يجدي معها تهديدي لها بنفيه خارج البلاد؛ لقد بكت كثيرا واضربت عن الطعام حتي لا انفذ تهديدي؛ لقد ضعفت أمام دموعها الغالية؛ لقد أرسلت البصاصين وراءهما ولكنهم فشلوا في تحديد مكان لقاءهما؛ ماذا تقول في هذا الأمر ايه الكاهن الأعظم في هذه المعضلة؟".

اعتدل " الكاهن" في كرسيه وهو ينظر متاملا وجه الحاكم الذي تملظ غيظاً وحنقا علي أفعال أبنته؛ عليه أن يختار كلماته في حرص بالغ " سيدي الحاكم العظيم

تعلم جيدا ربما نستطيع ان نفرق بين عوالي والرعاع ولكن الحب ياسيدي لايعرف طبقات بل يغزو القلوب ولايفرق بينهم و- - -"؛ دخل الحاجب مهرولا بدون سابق أنذار إلي قاعة العرش وهو يصرخ في حرقة " مولاتي الأميرة أختفت من حجرتها ومن القصر"؛ بهت الحاكم وأنتصب واقفا ويشير بأصبعه إلي الحاجب " أرسل وراءها بكل البصاصين وعليكم أن تأتوني برأس حابي"؛ لقد غفلت حراسها وتركتهم يضربون أخماس في اسداس وهم يبحثون عنها في انحاء القصر؛ لم يجدوا لها آثر.

المركب الصغير الذهبي في أنتظار سيدتها التي طالما تجدف به حتي تصل إلي البر الغربي حتي تلتقي بحبيبها الذي طالما كان مغامرا ويأتي متخفيا وينتظرها بجوار قصر أبيها؛ حدثت نفسها كثيرا " أنا ليس أقل منه في حبي"؛ المركب الصغير يتهادي بين الأمواج الصغيرة وهو يشق طريقه وسط أفراس النهر التي تراصت في ممر شرفي لهذه الأميرة التي لم يزعجها وجودهم؛ سعادتها لا توصف باصواتهم وهي تتردد علي صفحة الماء الهادئ؛ أدركت ترحيبهم بها وهي تمد بيديها إليهم بقطرات الماء العالقة بها؛ سعدوا برؤية أميرتهم التي لم تنقطع عن زيارة البر الغربي طوال السنوات الثالث الماضية في لقاء حبيب عمرها؛ لم يبخلوا أيضا بترحيبهم " لحابي" وهو يشق صفحة الماء متخفيا بعيدا عن أعين البصاصين وجواسيس الحاكم؛ أنهم يشعرون بقلبه النابض بهيامه لاميرتهم التي ملكت قلبه واستولت علي لبه.

قلقاً يذرع الشاطئ الممتد من (حابي) إله النماء والخير وهو يشق طريقه من الجنوب إلي الشمال في تؤدة وهدهدة الماء ترسل إليه في سكون رسائل يحملها له بالخير والعمر الطويل له؛ لكنه يشعر فجأة بهذه الدمعة الكبيرة تغرقه فتعلن عن حزنها؛ أسقط في قلبه وهو يشعر بأنقباض صدره في سماع اصوات افراس النهر والعنادل في هذا الوقت من الليل الذي انزل استاره؛ اشعة القمر الفضية قد ارسل بسهامه الناصعة البيضاء علي هذه البقعة التي هي شاهدة علي قلق هذا الضابط الذي تسلل من ثكنته العسكرية في انتظار التي اشعلت قلبه شغفا؛ لقد بلغ الكلف مبلغه منه وهو يبث لها بالآلامه ولواعج حبه الذي اشتعل في اوصاله؛ تعددت لقاءتهما في قلب هذا الليل وفي الليالي القمراء المضيئة بالسهام الفضية التي اصابت قلبيهما؛ لم تبخل عليه باحت له بما يختلجها من نوابض العشق والهيام التي اجتاحت كيانها بدون شفقة علي رقة قلبها.

لقد تسلل منسحبا بعيدا عن أعين بصاصين حاكم الاقليم الخامس عشر(انيتنوبوليس)؛ حاكم الأقليم اصبح يشك في أمره بالرغم من أنه قائد حرس المدينة ولكنه ارسل جواسيسه يتعقبونه لقد فقدوا أثره؛ براعته قد فاقت كل توقعات الاعين المبثوثة حوله؛ الذين ذهبوا في أثره الواحد تلو الأخر فذهبت جهودهم سدي في البحث عنه؛ لقد اعياه أمر هذا الحاكم وتسأل كثيرا عن أمره لماذا لايسمح له بأن يتزوج من أبنته؟؛ الرد واضحا " كيف لك ان تتزوج من سليلة الحسب والنسب وأنت من عامة الشعب؟"؛ هذه الأسرة الأغريقية التي من نتاجها هذه

الأعجوبة التي شهد لها القاصي والداني بحسنها وجمالها وهي لما تبلغ بعد الثامنة عشرة من عمرها المديد؛ لكنها أحبت هذا الضابط الذي أسرها بحبه قبل شجاعته؛ لقد سقطت من مركبها الصغير وكادت تغرق لولا شجاعته واقدامه علي انقاذها من غدر أمواج" حابي" ومنذ تلك اللحظة وقد وقعت اسيرة في غرامه.

يسمع أقدامها من بعيد؛ يتأكد من صوت قدومها؛ يريد ان يتأكد أن لا احد يتبعها يتخفي بعيدا عن بقعتها؛ تأتي وهي تتلفت من حولها خوفا من الأعين التي بثها أبيه حولها والذين أطلقهم في أثرها ربما يعثر عن الذي أغواها ووقعت في حبه ولا تريد ان تتزوج من أحد الأمراء الأغريقين الذي وقع في غرامها ويريد ان يتزوجها؛ وقفت في بقعتها المنشودة تكاد تبكي وهي تنظر الي جريان الماء وأشعة القمر المرسلة " لقد تأخرت عليه"؛ نزلت علي ركبيتها تريد ان تبكي؛ خرج من مخبائه وهو يركض في أتجاه بقعتها المفضلة؛ وقف رافعا أياها قبل نزولها علي الأرض؛ تكاد تصرخ من فرط فرحتها ونشوتها وهي تري حبيبها قد اقترب كثيرا منها ويحتضن وجهها بين يديها؛ نطقا بأسميهما في نفس الوقت " إيزادورا-حابي".

" تخيلت إنك قد ذهبت بدون أن اراك؛ لقد تعودت علي رؤيتك في كل ليلة؛ عندما كنت انادي باسمك كانوا يظنون أنني أنادي علي إله النماء؛ فاسمه مثل أسمك؛ انه يرسل الخير إلي كل بلاد طيبة واسمك أنت لوحدك يرسل الحب كله لحبيبتك وعشقيتك إيزادورا" صوتها الوهن المملؤء بالشجن والعشق لحابي جعله يقترب من البكاء ولكنه توقف وهو يحتضنها في رفق ويهمس لها " كيف تتخيلين

إلا أتي في موعدي؟؛ كيف تتخيلين أن أترك حبيبتي تنتظرين في لهفة زهرة اللوتس للماء؛ أنك زهرة عمري التي ايعنت في صدري وانفاسك هي أنفاسي؛ إلهي يعلم ان دمائي وعمري فداء لك"؛ أمسكت بوجهه وهي تتأمل ملامحه والتي لنت قسمات الجندية منه وحلت مكانها ملامح هذا العاشق الهائم الذي ينتظر في كل ليلة طلوع شمس عمره في هذا الليل الذي اسدل استاره " أعلم ياحبيبي وسلمت من كل ردي؛ أسمك مثل عمر حابي ان كانوا لا يستطيعون ان يقسموا ماءه فهم لا يستطيعون ان يقصموا حبك فيّ؛ انت نهر في قلبي جفافه يعني موتي وموت قلبي وزهق روحي" لقد احتضنها في رفق ممسكا بوجهه الذي يشع نورا وجمالا وذهبا في قبلة طويلة.

جلسا سويا في بقعتهما المفضلة ينظران إلي بعضهما البعض يتحققان من ملامحهما؛ استغرقت كثيرا في تفاصيل وجهه؛ اسندت برأسها علي صدره حتي تسمع وجيف قلبه؛ أحتضن رأسها وقربها اكثر من قلبه الذي تسارعت دقاته " أن كل خلجة من خلجات قلبي تنطق بأسمك؛ أنك تعزفين علي نياط قلبي في رقة نسائم الربيع علي اوراق الورد؛ أنت قطرات الندي في جفاف بيداء قلبي المتيم بحبك"؛ لقد أستسلمت وهي تنصت إلي وجيف قلبها الذي تعالي في دقات عنيفة أحتضنته أكثر وهما ينصتان الي قلبيهما وتعالي دقاتهما؛ تسمع من العنادل التي سكنت في أوكارها ولا يسمع إلا حفيف الأشجار التي كانت ترقص طربا للغرام الذي تملك الأثنان؛ لقد ابتهجوا وهم ينصتون إلي العاشقان اللذان ناسيا الدنيا ومن

حولها؛ لقد توقفت كل القيثارات؛ المزاهر والنايات عن النوتات الموسيقية اعلنوا عن توقفهم انهم لا يستطيعون ان يتباروا مع هذا العاشقان اللذان كانا يعازفان أجمل الألحان علي قلبيهما؛ الدنيا كلها عليها ان تشهد علي حبهما.

أستيقظت " إيزادورا" من احلامها التي سيطرت عليها وهي في حضن " حابي" وهي تنظر الي وجهه بعيون دامعة لقد أدركت أنه قد حان وقت ذهابها أن الفجر قد لاح من الشفق الأبيض" لقد استيقظ شو من سباته إله الفراغ بين السماء والأرض إله الهواء والحياة عليّ أن أرجع إلي حجرتي قبل أن يستيقظ أبي؛ عليك أن تقسم ليّ – –" كلماتها تحمل الكثير من الخوف وهي تنظر إلي حبيبها الذي رفع باصابعه الرقيقة الي الشفتين المكتنزتين في كلماته الحانية إليها " أرجوك لا تقسمي عليّ إلا يكفيك أن يقسم قلبي بحبك في كل لحظة من عمري الفاني؛ إلا يكفيك أن يكون عمري كله فداء لك؛ كل هذا لا يكفي سوف أقولها لك أن انفاسك فقط هي التي تحيني سوف أظل لك حتي لو تكثروا عليّ واتفقوا كلهم علي قتلي وناثروا أشلاء جسدي ونزعوا قلبي من بين ضلوعي سوف أظل بجوار أنوبيس حتي ترجعي إلي ونظل سويا في غرف يارو إلي أبد الأبدين".

مودعا أياها في مركبها الصغير المذهب وهما يذرفان الدمع علي فراقهما أنتظارا حتي يحين موعد لقاءهما مرة أخري في هذه الليلة يالها من ساعات طويلة؛ لقد شعرت بغصه في حلقها؛ أحساسها بالخوف علي " حابي" جعلها تختنق في عبارات ساخنة والتي امطرت فيها صفحة " حابي" بدموعها السخية؛ شعرت أنها لن تري

وتسعد برؤية حبيبها بعد هذه الليلة المجيدة؛ لقد وقفت في مركبها الصغير فهتز بها فسقطت فيه ولم تقاوم؛ لقد فضلت الأنتحار حتي لا تري حبيبها وقد تناثرت أشلائه ونزعوا قلبه من مكانه؛ عليها هي ان تنتظره في غرف يارو؛ صرخة مدوية من " حابي" في رؤية مشهد تضحيتها التي لا يستحقها؛ شقت صفحة الفجر الذي لاح من بعيد وهو يبكي علي " إيزادورا" بكاء مر؛ صرخته سمعت في أرجاء الأقليم كله؛ هرع الحاكم؛ الكاهن والعسعس علي الضفة الشرقية وهم يشهدون انتحارها؛ الدمع الذارف قد غطي صفحة" حابي" ألما علي رحيل الزهرة اليانعة.

هائما علي وجه عابس قتله الحزن وهو يمشي في كل ليلة كيلومترات حتي يصل الي بقعتهما المفضلة ويضئ شمعة لها؛ يشعر بقربها وقوة روحها كلما اقترب رويدا رويدا من مكانهما المفضل؛ أرسل وراءه جواسيسه اخبروه بأمره؛ هي حقيقة اذا يراه في كل ليلة حاملا هذه الشمعة ويجلس في مكانه ساكنا منتظر قدومها لم ينقطع عنها منذ رحيلها؛ لقد ادرك ان حبه كان حقيقيا قرر أن يبني لها مقبرتها في نفس البقعة المفضلة لهما حتي يستانس " حابي" بوجود أبنته الراحلة بجواره.